



فقيد الإنسانية



حوار حضاري

♦ د. ثريا العريض ♦

الرجل الذي توجهناه ملكاً على القلوب -1-



JAZPING: 9713

أكتبه وفي عيني دموع لم تزل متحشجة بين العين والطق. فجمعت كغبري من محبيه بخبر انتقال خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز حبيب الشعب أبي متعب إلى نمة الله، وتعلقت برغبة طفولية عتيبة أن الأمر إشاعة وإنني سأصبح لأجد توضيحاً ونقياً وتكديباً.

لم يحدث ذلك.. وصحوت على تأكيد الخبر المفجع ووقعت في نحول ضرورة التصديق والتوجع رفضاً. كنا نعلم أن صحته ليست على ما يرام.. وأن الفترة الأخيرة حملت له الكثير من التعب وظل يكافح تعبته لتتواصل مساعيه ليرتاح المواطن.

الموت حق، ولله مشيئته.. [إننا لله وإننا إليه راجعون].. ولكن فراق من نحب يحمل صاعقة من التخوف لا قبل لنا بها إلا بالتشبث بالإيمان.

وعبد الله بن عبد العزيز رجل يستحق الحب.. ليس من السهل أن تختصر الكلام عن شخصية مثل خادم الحرمين الملك عبد الله بن عبد العزيز -رحمه الله وغفر له وتغمده بين الأبرار الطيبين في واسع جناحه- ولكن من يريد أن يعرف كم هو رجل أحبه الآخرون بصديق فليتابع ما فاض به المغردون في تويتر والفيسبوك وكل وسائل التعبير المباشر عن المشاعر. ليس فقط مواطنوه بل حتى غير المواطنين.

الرجل الذي سموه «ملك القلوب» و«ملك الإنسانية» كان قائداً استثنائياً في مدى إنسانيته وإيمانه بإنسانية الآخر، وصانع قرار استثنائي بحث عن حلول لعاناة كل الفئات ونادي بالحوار والوسطية والاعتدال وتقبل الاختلاف والتعايش. هو الرجل الذي أحبه المعتدلون وكرهه المتطرفون؛ من لم يعجبهم صلاح سيرته وتوجهه ورؤيته وقراراته وأفعاله. إثمار نتاج ذلك الصلاح كان يعارض مع طمع الطامعين من الخارج والداخل في تجيير خير البلاد لمصالحهم.

نعم أحبه الناس من قمة الهرم الاقتصادي إلى الملايين من أبناء الطبقة الكادحة، وكلم انزعج الكبار والشباب والنساء والرجال من أخبار مرضه.. وكلم ارتفعت الأصوات بالدعاء أن يجتاز الأزمة الصحية، وكلم انزعجوا من أخبار تسربت لتستعجل نشر خبر وفاته.

وعلى اتساع واختلاف المواقف والانتماعات، شهد له الكل بالصدق في النية والعمل، وأنه عاش ورغبته في إرضاء ربه بإقامة العدل والقيام بواجبه كولي أمر خير قيام. كان هم أبي متعب أنه مسؤول أمام ربه قبل أن يكون مسؤولاً أمام الناس أو فئة من الناس. صحيح أنه تباؤ سدة الحكم ملكاً لمدة عشر سنوات، ولكنه قام بهذا الدور لقرابة عشرين عاماً، العقد الأول منها وهو ولي للعهد حين كان أخوه خادم الحرمين الملك فهد متعباً أعجزه المرض عن مسؤولية الحكم واتخاذ القرار.

خلال الأيام القليلة التي تلت وفاته رحمه الله استعرضت كل وسائل الإعلام سيرته بكل احترام. لم يكن فيها إلا ما يثير الفخر به مواطناً قريباً جداً من قلوب المواطنين وملجأ لكل مواطن عانى من ظروف الفقر أو القهر، أو حتى غريب بعيد من الصحة فاجأه القدر بظروف متحديّة مثل ولادة توأمين ملتصقين. سخر نفسه لإسعاد الناس؛ لذلك منحناه لقب والد الجميع وشحناه بلقب الملك الصالح.

الرجل الذي أحبنا وأحببناه وعلمنا معنى أن نطالب بوطن يليق بنا وأن علينا أن نساهم في الوصول إليه. غادرنا بعد أن ترك لنا ميراثاً من المشاريع الجارية الواعدة كان أمله أن يراها تزهر وتثمر.. جامعات ومستشفيات ومراكز بحوث، وخططاً للإصلاح والتطوير والإعمار وإحلال الأمن والسلام وإسعاد المواطن.

غفر الله له وأثابه بقدر محبته لنا، ومحبتنا له.

بالجامعات، والمعاهد، والابتعاث وخدمة اللغة العربية، والترجمة، بوصفها كوة نطل منها على الحضارات الشرقية، والغربية، فضلاً عن الخدمات الصحية، ورعاية الشباب، والطرق، والسكك الحديدية، إضافة إلى الحوار، ومكافحة الإرهاب، وتعزيز المؤسسات الدينية والثقافية، ولو توسلنا بلغة الأرقام، لقطعنا بها قول كل خطيب، إن السنوات التسع السمان التي قضاها الملك عبدالله على سدة الحكم، زامت السنوات العvisبة على الأمة العربية، ومع ذلك استطاع أن يحقق فيها إنجازات، لا مجال لحصرها.

ومع ذلك فقد كرس شطراً من حياته لقضايا أمته العربية، والإسلامية، وممارس سياسة خارجية متوازنة، تقوم على لم الشمل، ومعالجة القضايا العالمية التي هي أحسن.

كان - رحمه الله - ينظر إلى الإسلام على أنه السلام، والأخوة، ولين الجانب، في وقت ضلت أمم، وهلك علماء، ومفكرون، وسالت دماء، ودمرت ممتلكات، واختل فيها الأمن، وفقد الاستقرار، وروعت الشعوب بالفراغات الدستورية.

لقد ملأ الفراغ الذي حل بالأمة العربية، حين تتابعت الانقلابات، بأسو، ويواسي، ويتوجع. ومن ثم وجد فيه العرب الأخ الأكبر، الساهر على المصالح.

إنه كما يقول الرئيس الأمريكي أوباما: - [زعيم صادق]. واليوم، ونحن نعطي خلفه الصالح [سلمان بن عبدالعزيز] البيعة، نجد فيه العوض، إذ لم يكن - حفظه الله - يعيد عن كل ما سلف. لقد كان ولي عهد أمين، وظهراً مخلصاً، وعضداً قوياً، وداعماً لكل القرارات المصرية، ومباركاً لكل المبادرات.

حمل في العقود الخمسة الماضية ثلاثة ملفات جسمانية:

- ملف الأسرة الحاكمة.
- وملف المثقفين، والمفكرين، والأدباء.
- وملفات التاريخ الحديث.

إضافة إلى [إمارة الرياض] عاصمة العالم العربي، التي تشكل دولة، بكل ما تعج به من كثافة سكانية، ومشاريع متعددة، ووزارات، وسفارات، ومرافقه للملوك السابقين، ومشاركته لهم في أحلك الظروف. إنه ملك بكل ما تحمله تلك الكلمة من معان. فله من شعبه الحب الصادق، والدعاء الخالص، والولاء الثابت، والسمع، والطاعة في المنشط، والمكره، والعسر، واليسر.

وكل ذلك يمتد إلى ولي عهده الأمين، وولي ولي العهد، جعلهم الله مباركين أينما كانوا، وموفقين أينما حلوا. والله المسؤول أن يحصي بلاد الحرمين الشريفين، ومأرز الإيمان، ومثوى الجسد الطاهر، ومنطلق الدعوة من كيد الكائدين، وحسد الحاسدين، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

في البدء تواترت الأخبار وما كنت اصدقها، ثم تأكد الخبر وما زلت أنتظر تكديبا، ولأني كنت خارج الرياض اكتشفت اني لم أتابع أي من مراسم الدفن والعزاء، وكأني أحاول عدم مواجهة الحدث مع ان الموت حق.

لكن حين تفقد ملكاً مثل عبد الله فانت تفقد شيئاً لا تستطيع التعبير عنه مهما احترقت فنون الكتابة، ولذلك اعتذرت فلم اكتب مقالي يوم الأحد الماضي.. ولذلك أكتب هذه المقالة وكأنها المرة الأولى التي أكتب فيها. أشطب الكلمات وأعود أكتبها من جديد وأشعر بها أقزاما لا تستطيع حمل مشاعري.

يارب لأجل كل طفل يتيم وكل امرأة ضعيفة وكل شيخ كبير كان لهم عبدك عبدالله سنداً ووعوداً في الحياة ارحمه يا الله رحمة واسعة وارزقه جنة الفردوس يارب إن كان ملكنا قد رحل فقد أوكلت أمرنا إلى أخيه سلمان بن عبد العزيز القائد الذي كان عضداً لأخيه، يارب فكن له عوناً لمافيه خير بلادنا.

وقضيت نحبك راضياً مرصياً ..!



JAZPING: 5183

♦ د. حسن بن فهد المويمل ♦

أويت إلى فراشي قلقاً من تلاحق الإشاعات، وأنا أردد:-

[طوى الجزيرة حتى جاءني خبر

فزعنت فيه بأمالي إلى الكذب]

وفي الرابعة صباحاً استيقظت، لألتقى حقيقة ما كنت أخاف منه:-

[حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً]، استرجعت، وحوقلت، وتذكرت قول الباربي:-

تكن حاضرة الذهن المحلي، ومجيئها في ظل الظروف القائمة، يعطيها قيمة إضافية.

فالحوار الوطني، وحوار الأديان اللذان أسهما في فك الاختناقات، وتخفيف الاحتقانات، والتقريب بين وجهات النظر، وحالا دون الصدام الفكري، والديني وخسناً صورة الأمة الإسلامية، التي حوربت بالصوت، والصورة. كل هذا من مبادراته - رحمه الله -.

إن رحيل الملك عبدالله يُعد يوماً حزيناً، لكل أفراد الشعب، ومكوناته المتجانسة.

والعائلة الكريمة التي أعادت للشعب راحته، واطمئنانه بالانتقال الانسيابي للحكم، قادرة على ترتيب الأوضاع في أحلك الظروف.

لقد نمتنا مطمئنين، وفي رقبتنا بيعة الملك، واستيقظنا وجلين، وفي رقبتنا بيعة خلفه، ولم يحدث في عملية الانتقال من ملك إلى ملك، ما تتعرض له دول كثيرة من تنازع يخل بالأمن، ويقض مضاجع الأمة.

لقد فقد العالم العربي، والإسلامي بفقد خادم الحرمين الشريفين [الملك عبدالله] شخصاً مُسَدِّداً، وحكيماً متوازناً، واستقبلت رجلاً استوعب كل تجارب سلفه، وعاش معهم عن قرب، وشاركهم في صناعة القرارات المصرية، وكان لهم بمثابة العون، والظهير.

فالملك [سلمان بن عبدالعزيز] - حفظه الله - وسدّد على طريق الحق خطاه، لم يكن بعيداً عن كل ما تتعم به المملكة من تقدم، وازدهار، وما تحققت من سمعة عالية. على الرغم من أن المملكة بما هي عليه من إمكانيات حسية، ومعنوية جزء من العالم العربي المضطرب.

فأي قرار مصري يدار في المحافل الدولية يوضع للمملكة دورها. لقد كان قادتها صمام أمان، وكانت أرضهم هوى أفتدكالمؤمنين،وملاالخالفين.

والملك عبدالله بسياسته المتوازنة، وقراراته الحصيفة، وصراحته، وصرامته، ومواقفه الشجاعة في كثير من الأزمان، انتزع إعجاب العالم.

والمملكة التي لم تقف يوماً مكتوفة الأيدي في أي حدث مصري، لم تلهها هذه المهام الجسام عن مهماتها الداخلية.

لقد كان الملك عبدالله، وعضده الأمين سلمان بن عبدالعزيز، وراء التنمية الاستثنائية في البلاد، في الظروف العvisبة التي تمر بها الأمة العربية.

ومن ذا الذي ينكر النهضة التعليمية المتمثلة

[كل نفس ذائقة الموت] وقوله لرسوله [إنك ميتٌ وإنهم ميتون] والموت هو اليقين الذي لا يفر منه أحد، [قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم].

فرحم الله خادم الحرمين الشريفين [الملك عبدالله] وأسكنه فسيح جناته، وألم أمته العربية، والإسلامية، وشعبه، وأنجاله الصبر، والسلوان. ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، ويكسبنا صلواته علينا، ورحمته، وهدايته لنا: - [إننا لله وإننا إليه راجعون]. وإنما الصبر عند الصدمة الأولى.

ويقدر حزناً على فقده، سعدنا بخلفه [سلمان بن عبدالعزيز] ملكاً، عادلاً، ناصحاً لدينه، وأمه.

لقد كنا، وما زلنا مع الأسرة الحاكمة، ما حكمت فينا شرع الله، وتحملت ما تقضيه البيعة الشرعية من تبعات، نوالها، ونؤيدها، ونرضى بمن تقدمه للنهوض بالمسؤولية، من أفرادها، أو من كفاءات الوطن. فتلك أمانة أخذوها بحقها، منذ أن وضع الإمام [محمد بن سعود]، والصلح [محمد بن عبد الوهاب] قدم نجد على عتبات التاريخ.

ولما نزل نذرك إنجازات هذه الأسرة المباركة، منذ عهد المؤسس [الملك عبدالعزيز] - طيب الله ثراه - ونكن للموكها الحب، والإكبار. وندين لهم بالفضل، ونسأل الله العلي القدير أن يجمع شمل الأسرة، ويسد خطاهما، ويدبر عن البلاد، والعباد عوادي الزمن.

لقد فقدت الأمة العربية والإسلامية، بل وفقد العالم بوفاة الملك عبدالله شخصية مؤثرة، وذات رؤية شمولية، تراقب الأحداث، وتحيد بمواقفها خيار الصدام، وتغلب جانب الاحتواء، أو التحديد، أو المواجهة بالقوة الناعمة. والسياسة المتوازنة التي توارثها قادة البلاد كإبراهيم كابر، والثقل البيني، والسياسي، والاقتصادي، وسائر الأعماق المهمة، والثوابت السياسية التي تتمتع بها المملكة، جعلتها مثابة للأمة العربية، والإسلامية، وأمناً، ومناطاً لأمالها.

وأي حدث مصري، تتعرض له الأمة العربية، تبدو على المشهد السياسي الرحلات [المكوكية] بين الرياض، وعواصم العالم.

وفرة حكم الملك عبدالله - رحمه الله - تتشكل علامة فارقة في التاريخ السياسي للأمة العربية، وعلامة فارقة في سجل الإنجازات المحلية.

لقد كانت للملك عبدالله - رحمه الله - مبادرات، لم

حمى الفقد

مسؤولية

♦ ناهد باشطخ ♦

JAZPING: 5116

فاصلة

((كسب نفس وإن كانت على وجه من المننفة أمهال تقويها المسره يبسطها والسهر يقبضها والسفس تسنرها والمسوت يطويها))

- علي بن ابي طالب، رضي الله عنه-

فقدنا كمتعشين ومبتعات الرجل الذي حقق لنا حلم المستقبل ولم يكن يرجو منا شكراً أو تقديراً، إنما كان يوصينا بديننا ووطننا.

لن أكتب اليوم عن إنجازات الملك أو قيادته الحكيمه أو نصرته للمرأة حيث حصدت في عهده مناقب عدة.

سأتكلم عن شيء من مشاعري التي شعرت بها كل امرأة سعودية فالنساء يعرفن معنى فقد السنه. يعرفن معنى ان يكون قائد السفينة يتبع هدي رسول الخلق في تكريم النساء.

الفقد في جميع حالاته مؤلم لكن فقدنا للراحل عبدالله بن عبد العزيز يشبه اليتيم على امتداد واسع في معناه الحسي، فقدنا للملك الرحيم يشبه وجهنا حين يفارقنا وارضنا حين لا تعرفنا، لم أجرب فقد الاب اطال الله في عمر والدي، لكنني حين سمعت خبر وفاة والدنا الملك وأنا خارج البلاد شعرت بالغبية رغم انني ادرس في بريطانيا لسنوات ولم أشعر بمثل ما شعرت به من وحشة شعر بها آلاف السعوديين من البتعتين والمتبعات في كل مكان من العالم.